**قسم الفلسفة السنة الدراسية 2023-2024**

**ماستر 1 فلسفة غربية حديثة و معاصرة**

**المقياس: الفكر الجزائري1**

**الأستاذة: شريقي انيسة**

**المحاضرة السادسة**

**القديس سان أوغسطين**

تقودنا هذه الدراسة الى الفيلسوف أوغسطين أعظم فيلسوف مسيحي جزائري في العصور الوسطى، وبالتأكيد هو الفيلسوف صاحب التأثير الأعمق والأطول. تعده الكنيسة الكاثوليكية قديسا، وكانت سلطته في الأمور اللاهوتية مقبولة عالميا في العصور الوسطى اللاتينية، وظلت هذه السلطة في التقليد المسيحي الغربي غير مختلف عليها حتى القرن التاسع عشر. وكان تأثير وجهات نظره بالغا على الثقافة الغربية فيما يتعلق بالخطيئة، والنعمة الإلهية، والحرية، والجنسانية. وقد أثارت هذه الآراء التي تختلف بشدة مع التقاليد الفلسفية والثقافية القديمة، انتقادات شديدة في حياة أوغسطين .

حياته

عاش أوغسطين (أوريليوس أوغسطينوس) من 13 نوفمبر 354 إلى 28 أغسطس 430. ولد في “طاغاست” في أفريقيا الرومانية (سوق أهراس في الجزائر). يبدو أن والدته مونيكا (ت 388) المسيحية التقية كان لها تأثير عميق وجليٌّ على تطوره الديني. والده باتريسيوس (ت 372) تم تعميده وهو على فراش الموت. تلقى أوغسطين مبادئ المسيحية في وقت مبكر من حياته. كان يؤمل من دراسته للقواعد والبيان في المراكز الإقليمية في مادوراوس وقرطاج والتي استنفدت الموارد المالية لوالديه متوسطي الحال أن تمهد طريقه لمستقبل مهني راقٍ في الإدارة الإمبراطورية في قرطاج. وهو في حوالي الثامنة عشرة من عمره التقى خليلة، عاش معها كزوجة واحدة وحيدة له حوالي 14 عاما، وأنجبت له ابنا (أديوداتوس) الذي تم تعميده مع والده في ميلانو، ثم ما لبث أن مات بعد ذلك بقليل (حوالي 390) وعمره 18 عاما. في عام 373 أصبح أوغسطين “مستمعا” للمانوية، وهو دين ثنائيٌّ أصوله فارسية وتطور في شمال أفريقيا إلى أشكال متنوعة من المسيحية (وتم اضطهاده كهرطقة). استمر اعتناقه للمانوية تسع سنوات وقد عارضته أمه بشدة. على الرغم من نشاطه كمدافع ومبشر مانوي، إلا أنه لم يصبح أبدا واحدا من “صفوة” الطائفة (electi) الذين التزموا بالزهد والامتناع عن ممارسة الجنس. في عام 383 انتقل إلى ميلانو التي كانت آنذاك عاصمة النصف الغربي من الإمبراطورية ليصبح أستاذ المدينة للبلاغة مقابل أجر، والأديب الرسمي للبلاط الإمبراطوري، هنا ترك خليلته لتمهيد الطريق لزواج مفيد (سلوك من المحتمل أنه كان شائعا بين المهنيين الشباب في تلك الفترة). في ميلانو تعرض لتأثير الأسقف أمبروز (339-397) الذي علمه الطريقة المجازية لتفسير الإنجيل، ولتأثير بعض المسيحيين الذين يميلون إلى [الأفلاطونية المحدثة](https://hekmah.org/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B7%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%D8%A9/) الذين زودوه بفهم للمسيحية التي تم إطلاعه عليها فلسفيا، والتي كانت بالنسبة لـ أوغسطين من الوجهة الفكرية أكثر إرضاءً له من المانوية التي بدأ بالفعل في الابتعاد عنها. انتهت الفترة التي نشأت عن عدم اليقين والشك -التي تم تصويرها في الاعترافات كأزمة بالمعنى الطبي- في صيف عام 386 عندما تحول أوغسطين إلى المسيحية الزاهدة وتخلَّى عن كرسيه البلاغي وتطلعاته المهنية الأخرى. بعد شتاء من الراحة الفلسفية في مزرعة كاسيسياكوم بالقرب من ميلانو، تم تعميد أوغسطين بواسطة أمبروز في عيد الفصح عام 387، ثم عاد إلى أفريقيا برفقة ابنه وبعض الأصدقاء ووالدته التي توفيت في الرحلة (أوستيا، 388). في 391 تم ترسيمه على ما يبدو ضد إرادته كاهنًا في أبرشية المدينة البحرية هيبو ريجيوس (عنابة الآن في الجزائر)، بعد ما يقرب من خمس سنوات (حوالي 396) خلَّف الأسقف المحلي. تضمنت هذه الوظيفة الكنسية واجبات رعوية وسياسية وإدارية وقضائية جديدة، وربما أسهمت مسؤولياته تجاهها وخبرته مع جماعة مسيحية عادية في تعديل وجهات نظره حول النعمة والخطيئة الأصلية (Brown 2000: ch. 15).

لكن مهاراته البلاغية جهزته بشكل جيد لوعظه اليومي وللخلافات الدينية. طوال حياته كأسقف كان يشارك في مجادلات دينية مع المانويين، والدوناتيين، والبيلاجيانيين، وبدرجة أقل مع الوثنيين. معظم الكتب والرسائل الكثيرة التي كتبها في تلك الفترة كانت جزءًا من هذه المجادلات أو على الأقل مستوحاة منها، وحتى تلك التي لم تكن تدمج تعاليما فلسفية أو لاهوتية مع البلاغة (على سبيل المثال، كتابيه: التفسير الحرفي لسفر التكوين، وعن الثالوث) (Tornau 2006a). إن طعونه الشديدة في رفاقه الدينيين السابقين من المانويين تظهر في أعماله حتى عام 400 تقريبا، وقد ساعد نقاشه معهم على تشكيل أفكاره بعدم جوهرية الشر، ومسؤولية الإنسان. نشأت جذور الانشقاق الدوناتي مع الاضطهاد الأخير الهائل في بداية القرن الرابع. رأى الدوناتيون أنفسهم كخلفاء شرعيين لأولئك الذين ظلوا ثابتين خلال الاضطهاد، وزعموا أنهم يمثلون التراث الأفريقي لـ “كنيسة الطهارة” المسيحية. منذ 405 تم إدراج الدوناتيين بموجب القوانين الإمبراطورية المضادة للهرطقة، وأجبروا على العودة إلى دخول الكنيسة الكاثوليكية بالوسائل القانونية، تم تشديد هذه الإجراءات بعد أن مثَّل مؤتمر قرطاج (411) النهاية الرسمية للدوناتية في أفريقيا (Lancel & Alexander 1996-2002). عن طريق كتابته الدؤوبة ضد الدوناتيين، شحذ أوغسطين أفكاره الكنسية وطور نظريةً عن الإكراه الديني تتأسس على الفهم المقصود للحب المسيحي. كان أوغسطين على علم بالحركة البيلاجيانية (سميت باسم بيلاجيوس البريطاني الزاهد) حوالي عام 412، وقد سعى مع زملائه من الأساقفة الأفارقة إلى إدانتها باعتبارها حركة هرطيقية عام 418. وبينما لم ينكر هؤلاء أهمية النعمة الإلهية، فقد أصر بيلاجيوس وأتباعه على أن الإنسان بطبيعته حر وقادر على عدم ارتكاب إثم (محتمل *possibilitas*). وفي مواجهة هذا المذهب دافع أوغسطين بقوة عن مذهبه حول اعتماد الإنسان بنحو جذري على النعمة الإلهية.

وهي قناعة تم الإفصاح عنها بالفعل في “الاعترافات”، لكنه قام بصقلها وتقويتها في غضون نزاعه معهم. تميز العقد الأخير من حياة أوغسطين بنقاش محتدم مع الأسقف البيلاجياني السابق: جوليان من إكلانوم، الذي اتهم أوغسطين باعتناق المانوية المشفرة وإنكار الإرادة الحرة، بينما ألقى أوغسطين باللوم عليه وعلى البيلاجيين لتفريغ تضحية المسيح من معناها بإنكار الخطيئة الأصلية. يبدو أن الجدل مع التقليديين الوثنيين قد وصل إلى ذروته بعد عام 400، عندما دحض أوغسطين سلسلة من الاعتراضات ضد المسيحية المستقاة على ما يبدو من أطروحة فورفوريوس: ضد المسيحيين ، وبعد عام 410 عندما تم نهب مدينة روما بواسطة ألاريك الأول وأتباعه من القوطيين. كان كتاب “مدينة الله” هو الاعتذار الكبير لأوغسطين الذي أثاره هذا الحدث الرمزي، على الرغم من أنه بأية حال مجرد رد على المجادلات الوثنية. انتهت حياة أوغسطين أثناء حصار الفاندال لمدينة عنابة، ويقال أنه مات وهو ينطق اسم أفلوطين .

**أعماله**

تزيد أعمال أوغسطين عن مجمل الأعمال المحفوظة لكُتَّاب العصور الوسطى تقريبا. في كتاب الاستدراكات (“المراجعات”، وهو مسح نقدي لكتاباته بترتيبها الزمني حتى عام 428 م) يقترح تقسيما ثلاثيا لعمله إلى: كتب، وخطابات، وخطب وعظية بقي منها حوالي 100 كتاب، و300 خطاب، و500 خطبة وعظية. بدأ مشوار أوغسطين المهني بعد اعتناقه للمسيحية، بحواراتٍ فلسفية. أولها مكتوب في كاسيسياكوم في عام 386/7، يتناول موضوعات تقليدية مثل: الشك (الرد على الأكاديميين  ، والسعادة (الحياة السعيدةوالشر وخلود الروح. استمر أوغسطين في متابعة هذه القضايا في شكل حوارات حول لا مادية الروح (في عظمة الروح  واللغة والتعلم ، وحرية الاختيار والمسؤولية الإنسانية (الإرادة الحرة *De libero arbitrio*,، بدأه عام 388 وأتمه تقريبا في نهاية عام  395)، والبنية العددية للواقع (388 في الموسيقى *De musica*, 390). وأطروحة الدين الحقيقي *De Vera Religione* (391-389) التي تعتبر ملخصا لفلسفة أوغسطين المسيحية المبكرة. بعد استهلاله لحياته الكنسية تخلى عن شكل الحوار، ربما لأنه أدرك ملاءَمته بنحو أكبر للنخبة الثقافية، وطبيعته التي تحتمل إحداث تضليل (G. Clark 2009; Catapano 2013). ومن أعمال فترة الكهنوت والأسقفية، العديد من الكتابات المثيرة للجدل ضد المانويين (على سبيل المثال: الرد على فاوستوس المانوي *Contra Faustum Manichaeum*، حوالي 400)، وضد الدوناتيين (على سبيل المثال: الرد على رسالة بيتلياني *Contra litteras Petiliani*، 401-405 عن المعمودية *De baptismo*، 404) وضد البيلاجيين (مثل: عن الروح والرسالة *De Spiritu et littera*،  412، والرد على جوليان *Contra Iulianum*، 422 وفي النعمة الإلهية والإرادة الحرة *De gratia et libero arbitrio*، 424-427، وعمله الأخير غير المكتمل: الرد على جوليان، الذي يحافظ على قسم جوهري من الرسالة المفقودة إلى فلوروس *Ad Florum* التي كتبها خصمه البيلاجيني جوليان من إيكلانو). من الأعمال الفلسفية الأكثر إثارة للاهتمام من بين أعماله: فائدة الإيمان (391-392، وهو دفاع عن الإيمان/ الاعتقاد ضد العقلانية المانوية)، في طبيعة الخير (399، حجة موجزة للرد على مذهب المانويين والتي تذهب إلى أن الشر حرمان من الخير وليس وجودا مستقلا)، في الطبيعة والنعمة الإلهية *De natura et gratia* (413-417 ردا على أطروحة البيلاجينية: في الطبيعة *De natura*) واللوم والنعمة الإلهية *De correptione et gratia (*426/427، دحض النسخة المسيحية من “حجة الخمول” الرواقية، التي تم طرحها لمواجهة مذهب أوغسطين في النعمة). ومع ذلك اشتهر أوغسطين بأطروحاته الخمس الطويلة ذات النطاق الأوسع، والتي ألفها بين عامي 396 و 426. الاعترافات (حوالي 396-400) ربما كان أكثر أعماله أصالة، وهو “فلسفة السيرة الذاتية” (Mann 2014) بديلا للسيرة الذاتية بالمعنى الحديث. وفيها يبين كيف أن حياة الفرد -حياة أوغسطين- تصبح ذات معنى بفضل النعمة والعناية الإلهيتين، وكذلك بفضل خَلقه وتدبيره للعالم من أجل الخلاص. وفي العقيدة المسيحية (بدأه في 7/396 ولكنه اكتمل في 7/426) وهو كتيب عن التفسيرات الإنجيلية والبلاغة المسيحية، يصور بدقة الانقسام السيميائي الثنائي “للأشياء” (*res*) -وبخاصة اللغوي-  و”العلامات” (*signa*)، ويقيِّم بنحو نقدي أهمية القواعد الكلاسيكية لتفسير الإنجيل. وقد أثار كتابه عن الثالوث *De trinitate* (بدأ تصنيفه في عام 399 وأكمله في عام 419، أو ربما في وقت لاحق من عام 426) إعجاب القراء العصريين ذوي الميول الفلسفية، بتحليلاته الاستقصائية للعقل البشري باعتباره “صورة” للثالوث الإلهي. التفسير الحرفي لسفر التكوين *De Genesi ad litteram* ( 401/2-416) هو محاولة لكسب علم كونيات مبرر فلسفيا، مستمد من الفصول الأولى لسِفر التكوين. الفلسفة هنا كما هو الحال في معظم أعمال أوغسطين ، غير منفصلة عن التفسيرات الإنجيلية. تقول الرسالة الدفاعية الهائلة: مدينة الله *De civitate dei* (التي بدأ تصنيفها عام 412 بعد عامين من نهب روما، وأتمها عام 426) إنه لا يمكن العثور على السعادة في التقاليد الرومانية ولا الفلسفية، ولكن فقط من خلال الانتماء إلى مدينة الله، التي أسسها المسيح. ومن بين أمور أخرى فإن له تأملات مثيرة للاهتمام في الدولة العلمانية، وحياة المسيحي في مجتمع علماني. توثق الخطب الوعظية قدرة أوغسطين على تهيئة الأفكار المعقدة لجمهور كبير لم يحصل على قدر كاف من التعليم. وسلسلتان طويلتان عن سِفر المزامير (شروح سفر المزامير *Enarrationses in Psalmos*، حوالي 392-422)، وعن إنجيل يوحنا (في تدبر إنجيل يوحنا *In Iohannis evangelium tractatus*، حوالي 406-420)، بل كتابات عامة تعد قسما من تعاليم أوغسطين ومن سياساته الكنسية، يصل طول بعضها إلى ما يماثل طول أطروحة كاملة، وتطرح مناقشات فلسفية بديعة (الرسالة 155 حول الفضيلة، الرسالة 120 حول الإيمان والعقل، الرسالة 147 حول “رؤية” الله